العـــدد (١٠)، ينـــايـــر ٢٠٢٢، ص ص ١٨٣ – ١٩٦

تقـــريـــر عـــن فصـــل مـــن كتـــاب
نظام الموت والحياة للمدرسة الأمريكية الكبرى: كيف يقوض الاختبار والاختيار التعليم

دايـــان رافيتـــش

The Death and Life of the Great American School System How Test and Choice Are Undermining Education

Diane Ravitch

قـــراءة ومـــراجعـــة

د/ فـــاطمـــة بنـت فهـــد العـــنزي

مشرفة عموم في مركز تطوير المناهج

تقـــريـــر عـــن كتـــاب:

كتاب نظام الموت والحياة للمدرسة الأمريكية الكبرى: كيف يقوض الاختبار والاختيار التعليم

دايـــان رافيتـــش

Book Review:

The Death and Life of the Great American School System How Test and Choice Are Undermining Education

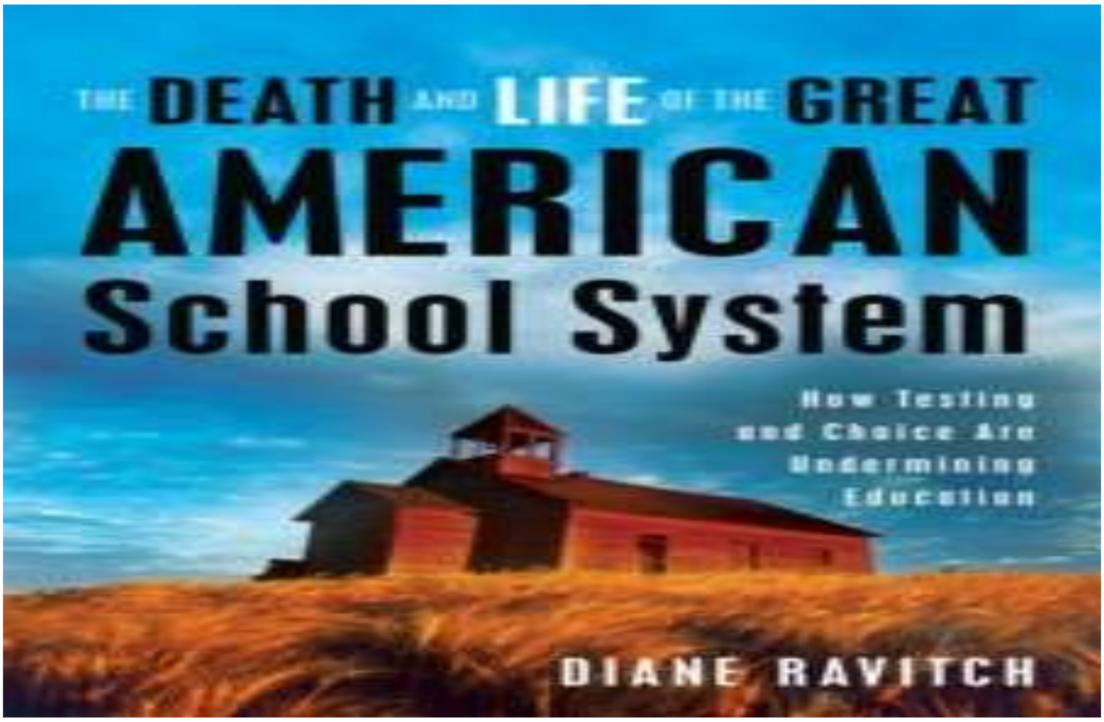

اســـــــم المؤلــــــــف: Diane Ravitch

ســــــنة الإصـــــــدار: ٢٠١٠

عـــــدد الصـــــفحات : ١٨١ صفحة

دار الإصـــــــــــدار: New York : Basic Books

عـــــدد المراجــــــع: ٣٥٩ مرجع

كتاب: نظام الموت والحياة للمدرسة الأمريكية الكبرى: كيف يقوض الاختبار والاختيار التعليم

د/ فاطمة بنت فهد العنزي (*)

مستخلص

في هذا الكتاب تفحصت ديان رافيتش – المساعدة السابقة لوزير التعليم والقائدة في حملة إنشاء منهج وطني – حياتها المهنية في إصلاح التعليم وتنصلت من المواقف التي دافعت عنها بقوة في السابق بالاعتماد على أكثر من أربعين عامًا من البحث والخبرة. وانتقدت الأفكار الأكثر شيوعًا اليوم لإعادة هيكلة المدارس، بما في ذلك الخصخصة، والمعيار الأساسي المشترك، والاختبار القياسي، واستبدال المعلمين بالتكنولوجيا، والمدارس المستقلة. إلى جانب أنها وضحت بشكل قاطع سبب عدم كون نموذج الأعمال طريقة مناسبة لتحسين المدارس باستخدام أمثلة من مدن كبرى. وناقشت أن الاعتماد على الاختبارات كوسيلة لتقييم أداء الطلاب أمرًا ليس عادلًا وهو ما يعد تناقضًا لمواقف سابقة للمؤلفة لأنها كانت ذات يوم داعمة للاختيار والاختبار التعليمي، لكنها عكست موقفها لاحقًا. هذا الكتاب ليس مجرد حديث طويل عن الخطأ في نظام التعليم في أمريكا، إنه أيضًا دليل للتحسين ويسرد العديد من التغييرات التي من شأنها أن تساعد في جعل نظام التعليم في أمريكا نموذجًا لبقية العالم، يحتاج النظام التعليمي في أمريكا إلى إصلاح ونظام "الموت والحياة للمدرسة الأمريكية العظيمة" طريقة رائعة لمعرفة ما هو معطل وكيفية إصلاحه. بشكل عام يدعو الكتاب للاطلاع على مثال يدعو للتقدير لمؤلفة تنقد آراءها السابقة وبشجاعة وبأسلوب علمي، وهذه ممارسة يمكن أن يستفيد منها القارئ في مراجعة أفكاره الخاصة وإعادة تقييمها، إضافة إلى أن لغة الكتاب واضحة ومفهومة حتى لغير المختصين في التعليم. كما أنه يوفر رؤية ناقدة لحلول تعليمية مثل الخصخصة والتي يتم تداولها في المملكة العربية السعودية، وبالتالي يمكن الاستفادة من تجربة الولايات المتحدة في هذا المجال.

الكلمات الرئيسية: نظام التعليم – المدرسة الأمريكية – الإصلاح التعليمي.

(*) باحثة دكتوراه التربية خاصة - جامعة الملك سعود.

The Death and Life of the Great American School System How Test and Choice Are Undermining Education

Dr. Fatimah F ALenazi (*)

Abstract

In this book, Diane Ravitch, the former Assistant Secretary of Education and the leader of creation of a national curriculum campaign, examined her career in education reform and disavows positions that she once vigorously advocated drawing on more than forty years of research and experience. She criticized today's most popular ideas for school restructuring, including privatization, the Common Core Standard, standardized testing, the replacement of teachers with technology, and charter schools. Besides, the author emphatically explained why a business model is not an appropriate way to improve schools using examples from major cities. She discussed that reliance on tests as a means of evaluating student performance is unfair, in contrary to her earlier opinions and attitudes. She was once supportive of educational testing, but Ravitch later reversed her position. This book is not just a long talk about what is wrong with America's education system, but also and improvement guide. It lists many of the changes that will help make America's education system a model for the rest of the world. The American education system needs to reform and "The Death and Life of the Great American School" System is a great way to find out what is broken and how to fix it. In general, the book invites us to see an example that calls for appreciation for the author who criticized her previous opinions with courage and in a scientific manner; and readers can benefit from this practice by reviewing and re-evaluating their ideas. In addition, the language of the book is clear and understandable even for non-specialists in education, it also provides a critical view of educational solutions such as privatization, which is being adapted in Saudi Arabia, and thus can benefit from the US experience in this field.

Keywords: Education System - American School - Education Reform.

(*) Super visor at curriculum development center Senior:

فهرس موضوعات الكتاب

What learned about school reform?	ماذا تعلمت عن إصلاح المدرسة؟
Hijacked how the standards movement turned into the test	كيف تحولت حركة المعايير إلى الاختبار
The transformation of district 2	تحول حي ٢
Lessons from san Diego	دروس من سان دييغو
The business model in New York city	نموذج العمل في مدينة نيويورك
NCLB: Measure and Punish	قانون "لن نترك طفل في الخلف NCLB" القياس والمعاقبة
Choice: the story of an idea	الاختيار : قصة فكرة
The trouble with Accountability	مشكلة المساءلة
What would Mrs. Ratliff Do?	ماذا ستفعل السيدة راتليف؟
The Billionaire Boy's Club	نادي الملياردير بويز
Lesson Learned	الدرس المستفاد
Epilogue: School and Society	خاتمة: المدرسة والمجتمع

مراجعة الكتاب

تسعى هذه المراجعة إلى عرض ومناقشة لكتاب "نظام الموت والحياة للمدرسة الأمريكية الكبرى: كيف يقوض الاختبار والاختيار التعليم"، للكاتبة الأمريكية دايان رافيتش، والذي أثار ضجة وجدلاً واسعاً في أوساط النظم التعليمية والجهات ذات العلاقة ولدى صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية منذ صدوره. ومن المعلوم أن رافيتش والتي تعمل حاليًا كأستاذة في مجال التعليم بجامعة نيويورك الأميركية، عُرفت كعالمة محافظة، ومؤرخة للتعليم الأمريكي حيث عملت كمسؤول كبير في وزارة التعليم خلال إدارة جورج بوش الأب، ثم انتقلت في إدارة الرئيس كلينتون للإشراف على تقييم مستويات الطلبة في مجمل الولايات المتحدة، إضافة إلى مشاركتها في إعداد عدد من المناهج التعليمية لمستويات دراسية مختلفة على مر السنوات.

ناقشت رافيتش في هذا الكتاب، قضيتين أساسيتين في التعليم وهما الاختيار والاختبار. وقدمت سردًا تاريخيًا لإصلاح التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. توزعت المحاور التي ناقشتها المؤلفة على أحد عشر فصلاً، جاء الفصل الأول ليروي لنا تجربة الكاتبة وماذا تعلمت عن أساسيات الإصلاح المدرسي. بينما تحدث الفصل الثاني عن الكيفية التي تحولت بها حركة المعايير الى حركة الاختبارات. أما في الفصل الثالث فقد تناولت فيه الحديث عن التحول الذي حدث في المنطقة الثانية، بينما جاء الفصل الرابع ليروي بعض الدروس من سان دييغو. وتلاه الفصل الخامس الذي تحدثت فيه الكاتبة عن نموذج الأعمال في مدينة نيويورك. الفصل السادس كان يتضمن شرحًا لحيثيات قانون عدم إهمال أي طفل والقياس والعقاب. بينما تحدث الفصل السابع بشكل موسع عن الخيارات، وقصة بدء فكرة. مشاكل المسائلة تحدثت عنها بشكل مفصل في الفصل الثامن. أما الفصلين التاسع والعاشر تضمنا قصة مستر روتليف، وما سيفعله، وقصة نادي أولاد البليونير. واختتمت الكاتبة الكتاب بالفصل الحادي عشر لتروي فيه الدروس التي تم تعلمها من التجارب السابقة.

غطت الكاتبة قدرًا كبيرًا من البيانات حول التعليم من خلال تقديم سردًا تاريخيًا لإصلاح التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. كما خالفت رافيتش في كتابها هذا معظم معتقداتها السابقة، من خلال طرح جدلي

معمق لجميع سياسات التعليم السابقة والحالية، وهذا الموقف يعتبر تغيراً جذريًا لمسارها، حيث أعلنت أنها أصبحت تعارض الآن معظم إصلاحات التعليم المحافظة حيث كتبت معلقةً "عندما كنت متفائلةً، بل ومتحمسة، حول الفوائد المحتملة للاختبارات والمساءلة والاختيار والأسواق، وجدت نفسي الآن أعاني من شكوك عميقة حول هذه الأفكار نفسها". فقد أشارت نوعاً ما إلى أنه تم خداعها من قبل البدع التعليمية، والقفز على متن عربة زينت مع لافتات تحتفل بقوة المساءلة، والحوافز، والأسواق.

كما سعت في كتابها هذا لتجاوز الشعارات، والتركيز على الحقائق، لنقل التعليم الأمريكي في الاتجاه الصحيح. وأشارت في أكثر من موضع أن المجتمع الديمقراطي يحتاج إلى نظام تعليم عام يتمتع بالصحة والحيوية، مع وجود مدارس عامة جيدة في كل حي. وجادلت أن خصخصة المدارس وتسليمها إلى رواد الأعمال من غير المرجح أن يحسن من جودة التعليم الأمريكي، معللةً رأيها بأن هذه قصة كلاسيكية وواضحة للنوايا الحسنة التي سارت بشكل خاطئ. كما تناولت بشيء من التفصيل سجل المناطق التي تدعي أنها حققت المعجزات، وكشفت عن أن المعجزات المزعومة تختفي عند الفحص الدقيق.

ودعمَت ادعاءها بسردها قصة تعيين أنطوني ألفارادو مديراً لمدارس المنطقة الثانية في نيويورك في عام ١٩٨٧، والذي استثمر جهوداً كبيرة في التطوير المهني المرتبط بالرياضيات البنائية، وبرنامج القراءة المعروف باسم "محو الأمية المتوازنة" حيث ارتفعت درجات الاختبار في بداية المشروع. وشرحت رافيتش بالأدلة أن إجراء المزيد من التحليلات للزيادة في درجات الاختبار وإن كان جدير بالثناء كان أقل إثارة للإعجاب لأنه يمكن أن يُعزى إلى عوامل أخرى، كالتغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسكانية في المنطقة الثانية، ومع ذلك، كان ألفارادو قد جذب انتباه الإصلاحيين على مستوى الشركات الذين شعروا بأن قيادته كانت صيغة مثبتة لتحقيق النتائج المرغوبة بسرعة.

كما أشارت إلى أن نجاح التعليم في مدينة نيويورك، وهو مثال مرموق للإمكانيات المحتملة للإصلاحات، يرجع نجاحه الى التغييرات الاقتصادية والديموغرافية، وليس بسبب تطبيق أساليب التدريس الجديدة أو إعادة هيكلة المنطقة. واستعرضت رافيتش الكثير من الأدلة

التي تشير إلى أن القرارات الكبرى حول المدارس تصنعها جهات خارجية، وكثير منها ذات توجهات تجارية وليس لديها خبرة جيدة بالمدارس العامة، بالإضافة إلى أنها لا تعتمد على الدراسات والأبحاث، وشددت بقولها "من المهم جدًا التخلي عن النوايا الحسنة للهواة"، وأن يتم تجديد شغل المناصب التي تقوم بصنع القرار عوضًا عن احتفاظ ذات الأشخاص بها لعقود.

هذا وترى رافيتش أنه من الضروري أن تكون المؤسسات مثل مؤسسة غيتس تحت رعاية ومرمي المسؤولين في النظام التعليمي، إذ أن هذه المؤسسات قد أثرت تأثيرًا سلبيًا على التعليم بسبب نفوذها في تشكيل سياسة التعليم. ومن الجدير بالذكر، أن مؤسسة غيتس قد بذلت مبالغ طائلة من المال في جميع أنحاء البلاد في سبيل صناعة التعليم، مما جعل لها وزنًا وكلمة مسموعة لدى صناع القرار، الأمر الذي ساهم في تقوية مواقفها وجعل من الصعب حدوث معارضة لسياساتها في التعليم. ولا تزال المجالس المدرسية تدين بالفضل لمؤسسة غيتس وتسعى إلى قبول منحها وسياساتها، مما يمنح الناخبين سيطرة غير مباشرة على تبني أي سياسة تعليمية، حيث أن المبالغ الطائلة التي تبرعت بها هذه المؤسسة قد قللت من التشكيك في التوصيات السياسية التي قدمتها.

وأوضحت أن هناك حاجة إلى مناقشة كاملة وشاملة لجميع أنواع المدارس الموجودة في المجتمع وتأثيراتها قبل أن يتم دعمها أو التخلص منها. كما استعرضت كيف فشل برنامج الرئيس جورج دبليو بوش "عدم ترك أي طفل في الخلف" (No Child Left Behind: NCLB, 2002) في تحسين التعليم، وذكرت بأن النتيجة النهائية لهذا البرنامج أدت الى تحويل المدارس إلى مصانع اختبار. ونوهت إلى أن عملية تدريب الأطفال على إجراء الاختبارات الموحدة والتركيز على إحراز أفضل الدرجات فيها، تُفقد الطالب الفرصة على اكتساب المعرفة والمهارات التي تعتبر مكونات ضرورية للتعليم الجيد. وعلقت مبررة كيف أن العقوبات الفيدرالية التي تم فرضها على المدارس التي تخفق في الوصول إلى حد الأداء المفترض في الاختبارات، قد أدى إلى وصم الآلاف من المدارس بصورة غير عادلة وتعرّضها لخطر الإغلاق أو الخصخصة.

وتروي الكاتبة بشكل معمق كيف تحول الإصلاح القائم على المعايير إلى هاجس الاختبار، وكيف أن مؤيدي خيار اختيار المدارس قد بالغوا بشكل متكرر في قدرة المدارس المستقلة(Charter School) على زيادة تحصيل الطلاب. كما أشارت إلى أن التعليم من مرحلة رياض الأطفال إلى مرحلة التعليم الأساسي متعطش للحلول، وأن أية حلول مقترحة قد تكون عرضة للأهواء والرؤى الشخصية لصناع القرار. وأكدت على ضرورة تخلي صناع السياسة عن الأفكار الخيالية، والبدء في اتخاذ قرارات أفضل بشأن المدارس بعد تقييم الأدلة. وترى بأنه على الرغم من معارضة المحافظين تاريخيًا للدعم الفيدرالي القوي للتعليم، إلا أنهم بدأوا في التسعينات ينظرون باستياء إلى تجارب المدارس الفاشلة، وبذلك تحولت الآراء إلى فكرة المعايير الوطنية كوسيلة للتغلب على المشكلة. وفي الوقت نفسه، يأمل الليبراليون في أن يروا المزيد من الأموال المتاحة للمدارس، ولسان حالهم يقول إنه إذا كان الاختبار هو الثمن الذي يتعين دفعه لتحديد المدارس الفاشلة، فليكن ذلك.

كما جادلت رافيتش في كتابها هذا أن فكرة الإصلاح التعليمي المستوحاة من الخصخصة القائمة على المنافسة، مفادها أن سبب تخلف التعليم يكمن في كونه قطاعًا عامًا غير معرّض لمنافسة السوق. وهذا ما يجعل قطاع التعليم ممثلاً بمعلميه أدوات غير منتجة، لانعدام الحافز لديهم على العمل، حيث لا تطبق عليهم أي عقوبات في حال تقصيرهم في التعليم. وبالتالي فإن مثل هذه النتائج ترمي بثقلها في أداء الطلبة الأكاديمي السيء. بمعنى آخر إن افتراض وجود نظام يقيس جودة تدريس كل معلم ويقيمه على أساس أدائه كما يحدث في السوق، سيعمل على حل مشكلة التعليم. إنه افتراض يعزز فكرة البقاء للأفضل من خلال التركيز على المنافسة في جودة الأداء.

هذا وأبدت رافيتش موقفًا رافضًا من الأصوات المنادية بضرورة محاسبة المعلمين بحزم، وإضعاف الأمان الوظيفي المستمد قوته من عضويتهم في نقابات المعلمين. وعلقت بالقول: "لا أحد على حد علمي برهن على ترابط واضح وقاطع بين نسبة المعلمين في النقابات، والأداء الأكاديمي سواء بالسلب أو بالإيجاب". وأوضحت أن الأمان الوظيفي الذي توفره نقابات

المعلمين لا يؤدي بالضرورة الى انخفاض إنتاجيتهم، فإذا كان صحيحًا أن الأمان الوظيفي يؤدي لإضعاف الإنتاجية، لتوقعنا وجود أسوء المعلمين في الأماكن التي يزداد فيها التسجيل في نقابات المعلمين، حيث كانت درجات ولاية ماساتشوستس هي الأفضل على مستوى الولايات المتحدة من حيث درجات الطلاب مقارنة مع باقي الولايات، على الرغم من انضمام ١٠٠% من معلميها لنقابات المعلمين، كذلك على مستوى العالم فإن فنلندا التي ينخرط ١٠٠% من معلميها في نقابات المعلمين هي من أفضل دول العالم من حيث مستوى درجات الطلاب.

ان مثل هذه الرؤية التعليمية، والتي يمكن تسميتها بالرؤية التجارية، تقود لحلول عملية منها أولاً الحزم في تقييم أداء المعلمين عن طريق إجراء اختبارات دقيقة ومستمرة للطلبة لقياس كفاءة المعلمين في توصيل المعلومات لهم. ثانيًا محاسبة المعلمين بحزم إذا ما أظهرت الاختبارات تقصيرهم، وهو ما قد يستدعي محاربة الجهات التي توفر حماية وظيفية للمعلمين مثل نقابات وجمعيات المعلمين. ثالثًا خلق بدائل للمدارس الحكومية بحيث تكون هناك منافسة في اجتذاب الطلبة ويكون للأهالي القدرة على اختيار المدرسة الأفضل لأبنائهم تمامًا كما يختارون أفضل السلع في السوق، الأمر الذي يتطلب معه عدم إلزام الطلبة بارتياد مدارس الجوار (مدارس الحي) الموجودة في مناطق سكنهم كما هو الحال في الولايات المتحدة، كما يتطلب تشجيع إنشاء المدارس الخاصة لمنافسة نظيراتها الحكومية.

ولعله من العدل أن نذكر أن رافيتش ترى أن أحد مشاكل التعليم في الولايات المتحدة مثلًا هي مشكلة الانقسام العرقي، حيث كان أداء الطلبة ذوي الأصول الأوروبية أفضل من أقرانهم ذوي البشرات الداكنة والمهاجرين الجدد. كما لعب الانقسام الطبقي دوراً في أداء الطلبة، فالطلبة الذين ينحدرون من أسر غنية كان أداؤهم أفضل بنسبة أعلى من الطلبة الأفقر. ومن الجدير بالذكر أن هذا الانقسام الطبقي يأخذ منحىً أكثر جدية إذا استوعبنا حقيقة صادمة وهي أن واحدًا من كل خمسة أطفال في الولايات المتحدة يعيش في فقر. وغني عن القول بأنه من الصعب على الطالب أن ينجح دراسيًا إذا كان لا يجد لقمة العيش ولا السكن الملائم، ناهيك عن المشاكل العائلية التي تتضاعف بفعل ضغوط الفقر والتي تؤثر بدورها على نفسية الطالب وإقباله على التعلم.

كذلك فسرت رافيتش ارتفاع متوسط درجات الطلبة في المدارس الخاصة والمدارس المستقلة مقارنة مع المدارس الحكومية، بأن السبب الرئيسي ضمن مجموعة من الأسباب الأخرى، يكمن في حرص المدراس غير الحكومية على استبعاد الطلبة ذوي الأداء الضعيف أو القادمين من خلفيات عائلية مضطربة، بينما المدارس الحكومية مُلزمة باستقبال جميع الطلبة، بالتالي يقل متوسط درجات طلبتها بسبب الطلبة ذوي الأداء الضعيف، بمعنى آخر إن المدارس الخاصة والمدارس المستقلة قد لا تشجع على المساواة الاجتماعية ودمج فئات المجتمع المختلفة، بقدر ما تشجع على فرز الطلبة على أساس الخلفية العائلية والطبقية وغيرهما. كما أكدت ديان على ضرورة العمل بجد للحفاظ على الفوائد المجتمعية التي تقدمها مدارس الحي، والعمل على استمرارية نتائجها الإيجابية التي أكدت نتائج البيانات الإحصائية عليها.

هذا وتؤمن رافيتش بفكرة أن التعليم رسالة أخلاقية واجتماعية بالدرجة الأولى، بمعنى أنه من واجب المجتمع أخلاقيًا أن يوفر لجميع طلابه فرصًا جيدة وكذلك متساوية للتعلم والنمو الفكري. أما بالنسبة للرسالة الاجتماعية فإن استقرار المجتمع وتطوره مرتبط بإعطاء جميع فئاته مجالًا للتقدم العلمي ولعيش حياة كريمة. كلاً من هاتين الرسالتين تناقضان الرؤية التجارية للتعليم التي تتصور أن هدف المدارس هو إنتاج موظفين بحسب حاجة السوق، أي أن يصبح دور المدارس هو "تدريب الطلبة وليس تعليمهم" كما تزعم المؤلفة. كما أن الاعتماد على المنافسة بين المدارس كما في السوق، يقوم بالضرورة على وجود مدارس ناجحة ومدارس أقل نجاحًا. فالهدف إذن ليس تحسين جميع المدارس بل فرز أفضلها، وتوثق رافيتش واقع أن الانضمام إلى هذه المدارس المتميزة ليس متاحًا فعليًا لجميع الطلبة على قدم المساواة وذلك بغض النظر عن الضمانات القانونية على الورق. وعمومًا فإن هذه العقلية التنافسية لا تنسجم مع محاولة خلق فرص تعليمية جيدة ومتساوية لجميع الطلبة.

بالنسبة للحلول البديلة التي قدمتها رافيتش في هذا الكتاب فيمكن تصنيفها في ثلاث اقتراحات، أولاً اجتذاب المزيد من المعلمين الأكفاء وليس ترهيبهم ليكونوا أكفاء، فظروف العمل والحياة للمعلمين في الولايات المتحدة ليست جاذبة، بل إن ٥٠% من المعلمين يتركون وظائفهم بعد خمسة سنوات من بدء التدريس، وهذا دليل على عدم جاذبية وظيفة المعلم. ثانياً تطوير

المناهج بحيث تكون أكثر فائدة وشمولا للمعارف وكذلك تنويع طرق تقييم الطلبة والمدرسين بحيث تكون أكثر مرونة ومصداقية، والهدف هنا هو تربية الطلبة وصقل شخصياتهم ليكونوا مواطنين واعين، ومستقيمين، وقادرين على المساهمة بفعالية في مجتمعهم، لا أن يكونوا مجرد موظفين متميزين في مهارات العمل، لكن دون قيم أخلاقية ودون قدرة على التفكير والإبداع. ثالثاً لضمان تطوير التعليم فإنه يفترض معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتفشية في المجتمع.

مما سبق، نستنتج أن هذا الكتاب لا يمثل هجومًا على إصلاح التعليم المحافظ فقط، ولكنه يمثل هجومًا على كل طرق الإصلاح تقريبًا، اذ أشارت المؤلفة إلى عدم وجود أدلة على أن هذه الإصلاحات ستؤدي إلى التحسين في نوعية التعليم. وعلى الرغم من الحلول التي اجتهدت رافيتش في تقديمها إلا أنها عامة جداً وليست عملية كالحلول التي عملت على انتقادها. وهذا أمر تحاول رافيتش الدفاع عنه من خلال التأكيد على أن مشاكل التعليم ليست بسيطة وليس لها حل جذري واحد، أو حلول سريعة، بل هي مشاكل تعبر عن تناقضات معينة في المجتمع، لا يمكن إصلاح التعليم دون معالجتها. ودعت إلى إجراء نقاش عميق وموسع حول أسباب المشاكل الجدية التي يعانيها المجتمع الأميركي مثل الفقر والتمييز العرقي والتي تؤثر تأثيرًا أساسيًا على مخرجات التعليم الأمريكي.

التوصيات:

وصفة الإصلاح التعليمي المستوحاة من الخصخصة ومنافسة السوق مفادها أن سبب تخلف التعليم يكمن في كونه قطاعًا عامًا غير معرّض لمنافسة السوق، مثل هذه الرؤية التعليمية، تقود لحلول عملية منها الحزم في تقييم أداء المعلمين، عن طريق إجراء اختبارات دقيقة ومستمرة للطلبة؛ لقياس كفاءة المعلمين في تحقيق نواتج التعلم المستهدفة، إلى جانب محاسبة المعلمين إذا ما أثبتت نواتج الاختبارات تقصيرهم، وخلق بدائل للمدارس الحكومية بحيث تكون هناك منافسة في اجتذاب الطلبة، وترك الحرية للأهالي على اختيار المدرسة الأفضل لأبنائهم، وهذا يتطلب عدم إلزام الطلبة بارتياد المدارس الموجودة في حيز نطاق سكنهم كما هو الحال في الولايات المتحدة (وفي المملكة العربية السعودية)، كما يتطلب تشجيع إنشاء المدارس الخاصة ذات الجودة العالية في التدريس والأنشطة اللامنهجية المقدمة؛ لمنافسة نظيراتها الحكومية.

إن هذا الكتاب انتقد هذه الرؤية التجارية للتعليم والتي شُرع في تطبيقها بشكل واسع في الولايات المتحدة منذ عقد من الزمن على الأقل، والانتقاد مبني على تقييم نتائج هذه الرؤية عبر الاستشهاد بالدراسات الأكاديمية والتقارير الحكومية والخبرة الشخصية للمؤلفة، وكذلك عبر شرح الأثر السلبي لمثل هذه الرؤية التجارية على أهداف التعليم ودوره في المجتمع. فمثلًا يستخلص الكتاب بعد عرض موسع للأدلة بأن لوم المدارس الحكومية ومعلميها على ضعف مخرجات التعليم الأميركي أمر غير مبرر، فالمؤلفة تؤمن بأنه لا توجد طريقة واضحة وجيدة أصلًا لقياس كفاءة المدارس والمعلمين، والاختبارات التي يُخضع لها الطلبة بهدف تقييم كفاءة معلميهم هي غالبًا من نوعية الاختيار من متعدد(وهذه تشبه إلى حد كبير اختبارات التحصيلي واختبار القدرات المطلوبة من الطلبة في المملكة العربية السعودية)، أي أنها تفترض بأن كل ما يتعلمه الطالب يمكن اختصاره في قدرته على اختيار الجواب الصحيح، وليس في المهارات الكتابية أو التفكير النقدي، أو القدرة على الإبداع أو السلوك في الفصل، كما أن هذه الاختبارات تكاد تركز حصريًا على مادتي الرياضيات والقراءة وهو ما يقلل من أهليتها كمقياس معتدٌّ به لأداء الطلبة وكفاءة المعلمين بشكل عام، هذه هي جزئية الاختبارات في عنوان الكتاب والتي ترى المؤلفة ضررًا في الإفراط في الاعتماد عليها.

أما بشأن محاسبة المعلمين بحزم، وضرورة إضعاف الأمان الوظيفي الذي توفره لهم الاتحادات العمالية، فإن الكتاب يقدم أدلة ضد هذه الدعوى، فالأمان الوظيفي الذي توفره الاتحادات العمالية للمعلمين لا يؤدي لانخفاض إنتاجيتهم. ولعل أكثر جزئية مثيرة للاهتمام في الكتاب هي النقد الذي يقدمه للفكرة القائلة بضرورة إيجاد بدائل للتعليم الحكومي من أجل تحسين جودته عن طريق المنافسة، حيث تشرح المؤلفة بعض جذور هذه الفكرة في الولايات المتحدة تنبع من حقبة التمييز العنصري في الستينات، حيث أصبحت المدارس الحكومية مكانًا لدمج الأعراق بشكل إلزامي، وهو ما دفع العنصريين من البيض لتشجيع إنشاء المدارس الخاصة؛ ليقللوا من احتكاك أبنائهم بباقي الأعراق، أي أن مطالبة بعض الأهالي بحرية اختيار مدارس أبنائهم كانت في الأصل بدافع عنصري وليس رغبة في رفع كفاءة التعليم، وجزئية "الاختيار" في عنوان الكتاب هي الفكرة التي تحذر منها المؤلفة.

كذلك تفسر المؤلفة بعضًا من أسباب ارتفاع متوسط درجات الطلبة في المدارس الخاصة وشبه الخاصة (إدارتها خاصة لكن تمويلها حكومي) مقارنة مع المدارس الحكومية، فأحد الأسباب هو حرص المدراس غير الحكومية على استبعاد الطلبة ذوي الأداء الضعيف، أو القادمين من خلفيات عائلية مضطربة، بينما المدارس الحكومية مُلزمة باستقبال جميع الطلبة، وبالتالي يقل متوسط درجات طلبتها بسبب الطلبة ضعيفي الأداء. بمعنى آخر فإن المدارس الخاصة وشبه الخاصة قد لا تشجع على المساواة الاجتماعية ودمج فئات المجتمع المختلفة بقدر ما تشجع على فرز الطلبة على أساس الخلفية العائلية والطبقية وغيرهما، ولو أردنا ربط هذه الفكرة بالوضع في المملكة العربية السعودية لربما لاحظنا أن بعض المدارس الخاصة هنا قد تشجع على مثل هذا الفرز الاجتماعي خصوصًا إذا ما قامت بتصنيف الطلبة واستبعاد بعضهم حتى بدءًا من المراحل الدراسية المبكرة كمرحلة رياض الأطفال، وذلك بفرض رسوم مالية مرتفعة جدًا، وبنائها في أحياء راقية؛ لضمان انضمام طبقة اجتماعية معينة لهذه المدارس.

هناك الكثير من النقاط المثيرة في الكتاب والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا، لكن الفكرة العامة التي تؤمن بها المؤلفة هي أن التعليم رسالة أخلاقية واجتماعية بالدرجة الأولى، وأنه من واجب المجتمع أخلاقيًا أن يوفر لجميع أبنائه وبناته فرصًا جيدة، ومتساوية للتعلم والنمو الفكري، ورسالته الاجتماعية هي استقرار المجتمع وتطوره، ويتم ذلك بإعطاء جميع فئاته مجالًا للتقدم العلمي وعيش حياة كريمة. هاتان الرسالتان تناقضان الرؤية التجارية للتعليم التي تتصور أن هدف المدارس هو إنتاج موظفين حسب حاجة الشركات في الاقتصاد، أي أن يصبح دور المدارس هو تدريب الطلبة وليس تعليمهم كما ترى المؤلفة، كما أن الاعتماد على المنافسة بين المدارس يقوم بالضرورة على وجود مدارس ناجحة ومدارس دون المستوى المأمول، فالهدف إذن ليس تحسين جميع المدارس بل فرز أفضلها. وتؤكد المؤلفة أن الانضمام إلى هذه المدارس المتميزة ليس متاحًا فعليًا لجميع الطلبة على قدم المساواة بغض النظر عن الضمانات القانونية على الورق. وعمومًا فإن هذه العقلية التنافسية لا تنسجم مع محاولة خلق فرص تعليمية جيدة ومتساوية لجميع الطلبة. إلى جانب تطوير المناهج بحيث تكون أكثر فائدة وشمولًا للمعارف،

وكذلك تنويع طرق تقييم الطلبة والمدرسين بحيث تكون أكثر مرونة ومصداقية، فالهدف هنا هو تربية الطلبة وصقل شخصياتهم؛ ليكونوا مواطنين واعين ومستقيمين وقادرين على المساهمة بفعالية في مجتمعهم، لا أن يكونوا مجرد موظفين متميزين في مهارات العمل دون قيم أخلاقية أو قدرة على التفكير الحر والإبداع والنقد.

الخلاصة:

بشكل عام إن هذا الكتاب جدير بالقراءة، فهو يثير لدي القارئ العديد من التساؤلات من خلال نظرة ناقدة متفحصة حول الوضع التعليمي القائم والممارسات التعليمية الحالية. ويستحق التقدير لأن المؤلفة انتقدت فيه بأسلوب علمي وبشجاعة آراءها السابقة بنفسها، وهذا أمر لم نعهده من قبل مسبقاً، لذلك تعد هذه ممارسة يمكن للقارئ أن يستفيد منها في مراجعة أفكاره الخاصة وإعادة تقييمها. كما أن هذا الكتاب يعد نقطة انطلاقة جيدة لفهم مدخلات وتعقيدات سياسات أنظمة التعليم. لذلك من الأفضل لأي شخص مهتم بالسياسة التعليمية، سواء أكان من المعلمين أو الوالدين أو صناع القرار قراءته. فهو يعتبر مصدرًا ثريًا للاستفادة من التجربة الأمريكية على مدى العقود الماضية، فالكتاب يوفر رؤية ناقدة لحلول تعليمية سبق أن طُبقت وأثبتت عدم ملاءمتها أو عدم نجاحها. يمكن الاستفادة من هذه التجربة في هذا المجال عوضًا عن ارتكاب الأخطاء ذاتها، بشكل خاص للمؤسسات التعليمية الطموحة والتي تسعى نحو تغيير شامل في الأوضاع والبرامج التربوية والتعليمية.